

# المراهقون من الهوامش نحو الجماعات المنظمة

فرح الحاج دياب

شقى،

فُتُضَافُ

عناصرُ جديدةٌ

لهذه الهوية وتُزال

أخرى، إذ إنَّ الإنسان دائم البحث

والاكتشاف، إلا أنَّ معالم تحديدها تبدأ

خلال المراهقة كونها مرحلةً عمريةً فاصلةً

بين الطفولة وسنَّ الرشد، وتعرف تقلباتٍ

مزاجيةً وهرمونيةً تمهيداً لمرحلة الشباب

والمسؤولية والاكتمال الجسدي والنفسي،

وتؤسس لتشكّل الهوية أسئلة وجودية

يطرحها المراهق باستمرار على نفسه

لتحديد أنه وهويته.»

## رحلة البحث عن الهوية

تُعَدُّ الجماعات المنظمة بمختلف

اتحاداتها وجمعياتها وهيئاتها من أبرز

قطاعات المجتمع أهميةً لكونها تضمّ شرحاً

الشباب التي تعتبر القوة الأكثر تأثيراً في

المجتمع، فتساهم هذه المنظمات ببناء هوية

المنضوين تحت لوائها عبر الأنشطة التي

توجّه اهتماماتهم ورغباتهم نحو الممارسات

التي

من شأنها

أن تعزّز تربيتهم

وترسّخها، فضلاً عن

دورها الحيويّ في التقليل من أنماط

السلوك المنحرف ووقاية المجتمع منه

لكونها تشكّل واجهةً جماهيريةً عريضةً

يمكن التعويل عليها في تحقيق الاندماج

الاجتماعي والتوازن النفسّي لدى المراهق.

تشارك الجماعات المنظمة في مكافحة

الجريمة والوقاية من أسبابها بطريقة

مباشرة وغير مباشرة، من خلال أنشطتها

الثقافية والتوجيهية والتثقيبية التي تسعى

إلى تكريس الممارسات السلوكية العقلانية

والمهذبة عندهم حيث تبعدهم عن مواطن

الجريمة وتدلّهم على السلوك السوي الذي

يعتمده المجتمع وتقرّه الأعراف والقواعد

الاجتماعية والأخلاقية، هذا ما يوافق عليه

الصحافي المتخصّص في البيئة والقضايا

الاجتماعية في مجلة نيوزويك الشرق



يقول يونس «انضمت إلى جمعية «إبداع» منذ حوالي ٤ سنوات.. حين تلقيت منهم دعوة للمشاركة في أحد معارضهم التي يقيمونها سنوياً، كانت بدايةً ناجحةً جداً وانطلاقةً إلى توطيد علاقتنا أكثر، ومنذ ذلك الوقت وأنا أشارك في نشاطاتهم ومعارضهم وورشهم الفنية»، ويضيف «تهتم الجمعية بالفنانين المحترفين وتقيم لهم المعارض الفنية، لذلك استفدت كثيراً من علاقتي

إشغال دور معين يترتب على أدائه تقدير اجتماعي فضلاً عن الشعور بالانتماء إلى عضوية الجماعة التي يجد من خلالها إشباعاً لحاجاته وميوله وإرضاءً لرغباته».

إن أهم ما يجعل المنظمات الجماهيرية تتبوأ مكاناً مهماً بين مؤسسات المجتمع الأخرى هو أنها تعمل على ترسيخ المفاهيم التربوية الحديثة بين مختلف شرائح المجتمع وفئاته العمرية المتباينة لاسيما الشباب منها ضمن أهداف اجتماعية محددة تترسخ من خلال القوى الاجتماعية التي تتولى عملية التغيير.

ويختتم السقا «لهذه الجماعات أثرٌ بالغ في بناء شخصية الفرد وإعداده لخوض غمار الحياة وتحمل أثق المسؤوليات بعقلٍ ناضجٍ ومتميز، ليكون قادراً في المستقبل على النهوض بأعبائه وتحمل التزاماته على أكمل وجهٍ وأفضل صورة».

### بين اكتشاف المواهب واكتشاف «الأنا»

يتحدث الخطاط والرسام حسن يونس عن تجربته في جمعية «إبداع»، هذه الجمعية التي تأسست سنة 2008 في منطقة الغبيري، والتي تهدف إلى اكتشاف المواهب الأدبية والفنية وتنميتها، وإقامة الورش التأهيلية والتعليمية والدورات المتنوعة، فتعقد اللقاءات الدورية، وتنظم النشاطات الأدبية والفنية، كما تسعى للمحافظة على التراث الأدبي والفني. وترعى إصدار الكتب والانتاجات الأدبية بالتعاون مع مختلف الجمعيات.

الأوسط مصطفى رعد مؤكداً «انتمائي إلى الجمعيات قد ساعدني على تطوير مهاراتي بالتواصل اللاعنف مع الآخرين»، ويضيف «يعزز الانتماء إلى الجمعيات القدرة على التواصل الإيجابي مع الآخرين، فشعورنا بالفرح يكتمل حينما نساعد إنساناً من دون مقابل، أو حينما نساعد حيواناً من دون أن نحصل على خدمة بالمقابل، وهو ما لا يفهمه بعض الناس، في زمن «البرنيس» الذي يتعارض مع مبدأ الرحمة والتعاطف واللطف في التعامل مع جميع المخلوقات في حياتنا اليومية».

### الجماعات المنظمة تتحدى الملل والفراغ

تُعزز الجماعات المنظمة من فرص الاستغلال الصحيح لأوقات الفراغ بالأنشطة الترويجية المفيدة التي من شأنها أن تنمي فكر المراهقين والشباب، خاصة في المجتمعات العربية الغارقة بالبطالة، هذا ما يؤكد السقا شارحاً «إن دور هذه الجماعات المنظمة يتضح في توجيه شريحة الشباب إلى استثمار أوقات فراغهم بما يعود عليهم وعلى المجتمع بفائدة بدلاً من قتلها وتبديدها، كما تبعدهم الأنشطة عن الملل وتقيهم العزلة والانطواء على أنفسهم، وتحد من سلوكهم الأناني إذ تحثهم على العمل والنضحية من أجل الآخرين»، ويضيف «تزود الجماعات الشباب بخبرات ومهارات جديدة قد لا يستطيع أن يظفر بها في الجماعات المرجعية الأخرى، كما أنها تُشبع الكثير من حاجاته كالحاجة إلى

يأسف رعد لكون  
الثقافة البيئية ضعيفة  
في المجتمعات العربية،  
وهو ما شجعه للسباحة  
عكس التيار إذ بدأ العمل

على كتابة تحقيقات بيئية علمية، صادقة وموثوقة وحيادية،  
من أجل حماية البحر والشواطئ وتعريف الناس على أهمية  
التنوع البيولوجي الموجود في البيئة البحرية، إذ يؤكد

«الدولة لم تعمل بشكلٍ جدّي على رفع الوعي

والثقافة البيئية لدى الناس، بسبب  
مشاركتها بشكلٍ أو بآخر في الفساد  
الذي أوصل البيئة إلى نقطةٍ دقيقةٍ  
جداً، لذلك سرّت ثقافةً معينةً  
عنوانها اللامبالاة بحال البلد في حال  
طمرتها النفايات، وهنا يبدأ دور  
الجمعيات».

هكذا، وبينما يحتاج المواطنون  
ويشككون من خلف الشاشات ومن  
على المنابر الافتراضية، قرّر رعد أن يغوص  
في عمق البحر وينظفه قدر المستطاع، مؤكداً «لقد  
تمكنت بدءاً من العام 2016 من إنشاء المركز  
اللبناني للغوص مع مدرب الغوص يوسف جندي،  
لتعليم الناس مبادئ الغوص وأهمية الحفاظ على  
الموائل التي تعيش فيها المخلوقات البحرية ومن  
ضمنها السلاحف والدلافين والحيتان».

يختم رعد «الله خلق الحياة لتتشاركها مع جميع المخلوقات، ولم  
تُخلق فقط لنا وحدنا، لذلك مهمتنا أن نحمي هذه المخلوقات ونمدّ  
لها يد العون طالما دعت الحاجة، من دون أن ننتظر أن نحصل  
على شيء بالمقابل»، متوجّهاً بالنصح لجميع الشباب والشابات

بـ«إبداع» ورئيسها والمنتسبين إليها، إذ فتحت لي آفاقاً للتعاون  
معهم وتطوير قدراتي وتبادل الخبرات في مجالنا، فـ«إبداع» تقف  
إلى جانبنا وتضع إمكانياتها في خدمتنا كما تقوم بتنظيم نشاطاتٍ  
بمناسباتٍ عدّة تجمع المحترفين والموهوبين الشباب الذين يتم  
اكتشاف مواهبهم التي تعمل الجمعية على صقلها لاحقاً من  
خلال الدورات المكثفة، والجدير بالذكر أن لجمعية «إبداع»  
الفضل الأكبر في نشر الثقافة ودعم الفنون منذ انطلاقتها.

إلى جانب هذه الفنون، يبقى العمل الإنساني  
والعطاء هو الفن الأعظم على الإطلاق،

هذا ما يؤكد الشاب المتطوع  
في الدفاع المدني علي مهنا قانلاً  
«الدفاع المدني منا وإلينا»،  
ويضيف «أستطيع أن أقول  
أنه لم يكن لحياتي أي قيمة قبل  
أن أنضم إلى الدفاع المدني، فقد  
أدركت من خلاله أن العطاء  
ومساعدة الآخرين هي ما يُقربنا  
من الله ومن الإنسان ومن حقيقة  
أنفسنا». يثني مهنا على جهود كل أفراد  
وعناصر الدفاع المدني معتبراً أنهم أكثر من يتعب  
وأقل من ينتظر الشكر أو الثناء.

لا يقتصر العطاء على مساعدة الإنسان للإنسان  
فقط، إنما يتعداه إلى العطاء اتجاه الطبيعة والبيئة،  
وهو ما يؤكد الصحفي البيئي الشاب مصطفى

رعد والذي بدأ اهتمامه بالجمعيات منذ بدأ متطوعاً عام 2014  
في جمعية Indy act في مشروع تنظيف شواطئ وبحر لبنان،  
«رغم خوفي من الماء، إلا أنني تمكّنت من تعلم رياضة الغوص  
لاكتشاف الأعماق».



هي جزءٌ من المجتمع وقيمه وخطوطه العريضة .

### ضع نفسك موضعاً حسناً

في خضم أزمة الهوية التي يعاني منها الشباب العربي اليوم، وبين الجماعات المنظمة وأيديولوجياتها، ومدرسة الأهل وقيمهم وعاداتهم، ووسائل التواصل المعولة التي تضخ لهم أفكاراً غريبة عنهم تربطهم بعادات وتقاليد أخرى في عمر مبكر جداً، تبقى هوية الشباب العربي مسؤوليتنا جميعاً، وبالأخص مسؤولية الشاب نفسه الذي يتوجب عليه أن يضع نفسه موضعاً حسناً فيحسن اختيار الجمعية والجماعة التي يريد الإنتساب إليها، فيختار ما يجمع بينه وبين رضا الله عز وجل، وبالتالي يجعله في خدمة الله والإنسان والمجتمع .



فرح الحاج دياب

صحافية لبنانية

يؤكد السقا أن المراهق الذي يندمج مع الجماعات الثانوية، ستبقى هويته مكتسبةً من وسطه العائلي ومجتمعهم الضيق المحيط به كما أنه سيكون ملتزماً بهذه الهوية الموروثة، أي أنّ قناعاته لن تكون نابعةً من ذاته، كما أنه سيتبع سياسياً لما هو سائد، وهذا الفرد غالباً ما تحدد



له عائلته مساره الدراسي وبقية القيم والمبادئ التي تكون مكتسبةً وملقنةً له، ويضيف «الجماعة الثانوية هي حاجةٌ فرديةٌ للخروج من كنف الأهل، إذ يحاول الفرد اكتشاف هويته وميوله واهتماماته وفي الوقت نفسه هذه الجماعة الثانوية

بضرورة الانضمام إلى الجمعيات إذ إنها ضرورةٌ وطنيةٌ وأخلاقيةٌ.

### الجماعات المنظمة ابنة بيتها

«قد يسلك المراهق الذي ينأى بنفسه عن الجماعات المنظمة كلياً منحىً سلبياً في استكشاف ذاته» كما يؤكد السقا معتبراً أنّ الهوية تُبنى على عدةٍ مراحل تبدأ من الأسرة والعائلة الممتدة ثم المدرسة، ومن بعدها الأحزاب والجمعيات والتي ترسخ ارتباط هوية الفرد بالهوية الاجتماعية، فالأحزاب والجمعيات والمؤسسات الكشفية هي وليدة بيتها مهما كانت البرامج والمشاريع والأفكار التي تقدمها، إذ إنها نتاجٌ طبيعيٌّ لحركة المجتمع الذي تنبع منه». ويضيف «إنّ أهم ما تفعله الجماعات المنظمة من خلال برامجها هو ربط

الفرد بالجماعة التي ينبثق عنها بشكلٍ أكثر تنظيمًا، مشيراً إلى أنّه وعلى الرغم من الدور الإيجابي الذي تلعبه هذه الجماعات، إلّا أنّها في الوقت عينه مؤسساتٌ مؤدلجةٌ تعمل على قولبة الفرد إلى حدٍّ لا يُسمى بعدها قادراً على رسم هويته بعيداً عن الخطوط التي تحددها له».